

محتشدات منطقة سيدي بلعباس (اللُوزة، الضاية، سَفْيُون، سُلَيْسَن، بَرْقَش)

د. كريم ولد النبية

جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس

أدرك الجيش الفرنسي أن مواجهة الثورة، بأبعادها الجماهيرية، يتطلب ضرورة موازاة العمل السيكلولوجي مع العمل العسكري ولذلك أنشئت هذه المصالح في سبتمبر 1955 من قبل الجنرال برلانج الذي فرض ثلاثون مصلحة في منطقة الأوراس النمامشة، وهي بذلك عودة فطرية إلى المكاتب العربية وكان ذلك في عهد الحاكم العام الفرنسي بالجزائر **جاك سوستال** صاحب أول مشروع استراتيجي شامل للقضاء على الثورة.

الوثائق الفرنسية العسكرية واضحة ولا يكتفها أي غموض في مسألة "مهمة مكاتب لاصاص" فهي تركز على (12 : Winter.1958) تكثيف العمل الاجتماعي والسيكلولوجي للجيش الفرنسي في الأوساط الجماهيرية الجزائرية في الأرياف والمدن بقصد عزلها عن جبهة وجيش التحرير الوطني، وقطع صلة الشعب بالثورة، وفقاً للنظريات الواهمة المستقدمة من الهند الصينية، والتي مفادها أن: "القضاء على الثورة مرهون بتفريغ الماء، لخلق الأسماك" وقد تم وضع خريطة لتوزيع مراكز الشؤون الأهلية حسب الأهمية السكانية والجغرافية والإستراتيجية لكل منطقة. وكانت السلطات الاستعمارية ترمي، من وراء تكثيف تواجد مراكز لاصاص، إلى خلق شبكات تجسس ومراقبة الشعب وزرع الخوف

لمنع الجزائريين من دعم ثورتهم. وبلغ عدد مكاتب لاصاص 585 في سبتمبر 1957 ، و 641 في ديسمبر 1959 ، ليصل العدد إلى 668 في ماي 1961. لعله من المفيد التذكير بتوافق إنشاء مكاتب لاصاص مع ما سمي بتجميع السكان، والمقصود بالتجميع ليس "الإيواء" بل النفي والإبعاد فهي بذلك عودة أخرى إلى سياسة تأسيس المحتشدات. وذكر الجنرال وينتار « أن تجميع السكان ضرورة عسكرية. » (Commission d'enquête. 1959). وهي إحدى الوسائل القمعية الرهيبة التي لجأت إليها سلطات الاحتلال الفرنسي في إطار سياسة التهدة (Pacification) قصد خنق الثورة وتحطيم معنويات المجاهدين عن طريق عزل الشعب عنها ولإنجاح مخططها الجهنمي قامت بإنشاء العديد من هذه المحتشدات مطوقة بالأسلاك الشائكة والتي لم تنحصر في منطقة معينة بل عمت كافة أرجاء الوطن وبهذا تكون سلطات الاحتلال قد أقبلت على عمل إجرامي في حق الشعب الجزائري وثورته.

يشهد تقرير لجنة التحقيق حول ما سماه بالتجمعات السكانية: جاء فيه « معنويات السكان المجمعين متدهورة لدرجة أن الأدوية لم تعد تنفع، كما أننا نلاحظ ارتفاع نسبة الأطفال و أن طفل واحد تقريباً يموت كل يوم وفي كل مركز. » (Rap. 1960).

أولاً : الحشد في نظريات السياسة الاستعمارية في الجزائر.

• الحشد من النظريات أو الأطروحات عديدة رافقت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر - الحشد : (Cantonnement)، كانت الفكرة تركز على تحديد الأراضي المتروكة لهم في شكل محتشدات خاصة بهم، أي الانتزاع من الفلاحين

وسكان الريف الأراضي الفلاحية والرعية الواسعة. ومن هنا جاءت فكرة حشدهم داخل دواوير في عهد الإمبراطور نابليون الثالث. (ثم تطور هذا المصطلح).

- هناك نظريات أخرى : الإبادة (Extermination) : - الطرد (Refoulement) - التضييق (Resserrement) التوطين (Peuplement) : - التعايش (Coexistence).

• أما المحتشدات الحديثة فهي سجون واسعة لحبس الجزائريين اصطلاح عليها رسمياً بتجميع السكان (Centres de Regroupements) والمقصود بالتجميع ليس "الإيواء" بل النفي والإبعاد والحبس في انتظار الموت المؤكد.

كانت تعتقل فيها قرى، دواوير ومدامر بكاملها. فهي بذلك عودة أخرى إلى سياسة تأسيس المحتشدات (Le Cantonnement) في بداية الاحتلال (DOCUMENTS ALG:1953) في عهد المارشال كلوزال الذي استورد الفكرة من أمريكا. ثم توسعت في عهد نابليون الثالث الذي أصدر السنااتوس كونسلت عام 1863 حين أنشأ نظام الدوار حيث حُشدت العديد من الفصائل والقبائل عند تفتيت الملكية العقارية للجزائريين.

من الواضح أن هذه السياسة القمعية التي دعمها قانون حالة الطوارئ زادت من معاناة المجاهدين وعامة الشعب (BARRAT,D.2001:125)، لكن قوة إرادة هؤلاء أفشلت مخططات السلطات الاستعمارية من خلال اختراق تركيبة هذه المحتشدات وتوظيفها بتنظيم شبكات للعمل السري (Réseaux).

علماً أنه كان من الصعب إحصاء عدد الجزائريين في هذه المحتشدات نظراً للطابع غير رسمي الذي كان يميّزها من جهة و لتضارب الأرقام من جهة أخرى، المهم أن عددها ظل يرتفع من شهر إلى آخر، ليصل إلى مليون شخص محتشد سنة 1959، وفي يوم 31 مارس 1960، اعترف الوزير المفوض "بول ديلوفريي" ناطقاً باسم للحكومة الفرنسية في الجزائر فقال: « أن المصالح الإدارية المتخصصة (لاصاص)، جمعت عدد وصل مليون و ومأتي وخمسون ألف شخص ». (El-Moudjahid. 1960 : 73).

ثانياً : إنشاء محتشدات منطقة سيدي بلعباس.

جاء في مجلة البلدية لسيدي بلعباس : « 180 ملف لانخراط في الجماعات المتحركة للأمن GSM تم استقبالها في مدينة سيدي بلعباس وحدها في ظرف ستة أشهر فقط » 1 : (Revue municipale SBA. 1958 : 8).

لكن هذه الأرقام لا يمكن أن نثق فيها مادام أنها فرنسية المصدر بدرجة أولى، و أنها جاءت في ظروف حرب بسيكولوجية حادة بدرجة ثانية ولهذا من الصعب تصديق كل ما جاء فيها وعلى الأرجح يمكن مضاعفة هذا العدد.

كما توافق إعادة تأسيس المحتشدات أو بما سماه المحتل « تجميع السكان واحصائهم » بالإستراتيجية الكبرى التي رسمها الاستعمار لخنق الثورة الجزائرية فالحديث هنا عن عودة أخرى إلى سياسة المحتشدات في بداية الاحتلال. لقد ذكر الجنرال وينتار في تقريره السري: « أن تجميع السكان ضرورة عسكرية ». لقد دعم قانون حالة الطوارئ هذه

السياسة (134 : VALLAUT, P. 2006) التي زادت من معاناة المجاهدين وعامة الشعب، لكن قوة إرادة هؤلاء أفشلت مخططات السلطات الاستعمارية من خلال اختراق تركيبة هذه المحتشدات وتوظيفها بتنظيم شبكات للعمل السري. من الصعب إحصاء عدد الجزائريين في هذه المحتشدات نظراً للطابع غير رسمي الذي كان يميّزها من جهة و لتضارب الأرقام من جهة أخرى، المهم أن عددها ظل يرتفع من شهر إلى آخر، ليصل إلى مليون شخص محتشد سنة 1959.

أما في يوم 31 مارس 1960، اعترف الوزير المفوض "بول ديلوفريي" ناطقاً رسمياً باسم للحكومة الفرنسية في الجزائر: قال « أن المصالح الإدارية المتخصصة (مكاتب لاصاص)، قد جمعت عدد من (الجزائريين) وصل إلى مليون و مائتين وخمسون ألف شخص » (Rap ANOM. 1960).

تعتبر منطقة سيدي بلعباس من أكثر المناطق تأثراً بالاستيطان الأوروبي، أين انتشرت القرى و مزارع المستوطنين الأوروبيين، بسرعة مذهلة لدرجة أنها صدمت بعنف الشبكة الاجتماعية و الاقتصادية للسكان المحليين. و نتيجة لذلك تدهورت حرفة الرعي في هذه المنطقة لأنها تتناقض بشكل مباشر مع مصالح الملاك الزراعيين الكبار من أمثال عائلة روبار جرمان (R. GERMAIN) الذي كان يملك الآلاف الهكتارات من زراعة الكروم في قرية كيروليس (KEROULIS) شنتوف حالياً، و شركة إنتاج الخمر قدرت قيمتها بمليار فرنك قديم، وقدرت الأجور التي كانت توزعها بثمانون مليون فرنك. وكان يتمتع بسلطة كبيرة لدرجة أنه كان يستقدم اليد العاملة الزراعية مجاًناً من سجن بوكنفيس المشهور (بوشبكة حالياً).

في منطقة سيدي بلعباس عام 1959، بلغ عدد السكان الجزائريين المحتشدين 12431. وفي سنة 1960، وصلت نسبة السكان المحتشدين 18.6 % من مجموع سكان الدائرة (9 : 1958. Revue Municipal SBA).
نسجل أهم المحتشدات التي أنشأتها مكاتب "لاصاص" في أرياف سيدي بلعباس نذكر:

1- مصلحة محتشد اللوزة في بولي (Boulet)، مولاي عبد القادر سابقاً ومصطفى بن ابراهيم حالياً. (لقد حافظت الإدارة العسكرية لمكاتب لاصاص التي عثرنا عليها عدد كبير من الصور الجوية لهذا المحتشد). نشير هنا أن السلطة الاستعمارية كانت قد أنشأت محتشداً جديداً عرف باسم محتشد سولي (Souly)، لكن يبدو أن هذا المحتشد كان تابعاً إلى محتشد اللوزة الكبير. (DOCUMENTS ALGERIENS. 1953 : 17).

2- مصلحة محتشد الضاية 1957، على مسافة سبع وخمسون كلم من سيدي بلعباس، يوجد بقربه سجن بوسي المشهور، حيث الأسلاك الشائكة لا تزال موجودة إلى يومنا هذا، كدليل قوي على جرائم الاستعمار في حق سكان المنطقة.

3- مصلحة محتشد وادي سفيون سنة 1956، حيث أقبل الملازم الأول بودو، (Baudot)، بعمل إجرامي في حق سكان جنوب شرق مدينة سيدي بلعباس، بعد أن احتشد سكان دوار جعافرة، شواربية وأولاد عطية.

4- مصلحة محتشد مولاي سليسن، في مفترق الطرق الولائية رقم 39، 47 و 70، وسط المثلث سيدي بلعباس - تلمسان - سعيدة. كان هذا

المحتشد من أبشع المحتشدات الموجودة في كل مناطق الجزائر. طبيعة المنطقة وصعوبة التضاريس جعلت من هذا "السجن على الهواء الطلق" مقبرة جماعية حقيقية لا ندري لحد الآن كم هو العدد الحقيقي للجزائريين للذين راحوا ضحية هذه السياسة الاستعمارية الإجرامية. ولا نستيع اكتشاف مقابر جماعية في هذه المنطقة.

5- مصلحة محتشد وادي برقرش : تعمدت السلطة الاستعمارية ربط مصير الجزائريين بأقلية أوروبية في المراكز الإستيطانية قريبة من الموقع الذي احتشد فيه السكان المحليين وهو "الدوار" و ربط مصيرهم نهائياً بالاستعمار (Décret 24 déc. 1875) .

نذكر أيضا أن قانون السناتوس كونسلت 22 افريل 1863، كان قد وزع الملكية الفردية في شكل قطع صغيرة حتى لا تهجر اليد العاملة الزراعية الدوار في باقي أيام السنة خاصة في المناطق التي كانت تنتشر فيها زراعة الكروم، فهي تحتاج إلى اليد العاملة عند عملية الزبر و الجني أي في مواسم معينة. وطبقت الإدارة الاستعمارية جملة من المبادرات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ضد العنصر المحلي في الريف الجزائري الذي كان منظما في أغلييته في شكل دواوير.

جدول سكان دوار برقرش سنة 1954

عدد الأفراد في دوار برقرش					عدد العائلات في دوار برقرش			
فرنسي	جزائري	اسباني	مغربي	المجموع	مغربية	اسبانية	جزائرية	مجموع
23	7094	13	263	7393	51	40	1463	1527

المصدر: Archives Oran ,Commune Mixte A-Témouchent/Dossier 1381, recensement 1954

يقع دوار برقش شمال غرب مدينة سيدي بلعباس على طريق عين تموشنت وهو دوار من البلدية المختلطة، على بعد خمس وأربعون كلم، وهي منطقة رعوية بالدرجة الأولى، في سنة 1957 احتشد الجيش الفرنسي سكان دوار برقش بعد أن أرغمهم على بيع قطيعهم من الأغنام والأبقار. كما بلغت مساحة دوار برقش 19729 هكتاراً، كان يسكنه 23 فرنسياً و 13 إسبانياً ينتشرون في مزارع مبعثرة، و 19729 جزائرياً و 265 من المغاربة (نقصد المراكشيين كما جاء في الوثائق وحسب إحصاء 1954. (Statistiques. 1954)

تؤكد التقارير والمراسلات الإدارية، أن نشاط السكان ميّزته حرفة العمال الزراعيين وهم فلاحون بدون أرض و مربو الماشية اندثرت حرفهم وتحولوا إلى يد عاملة رخيصة في مزارع الكولون.

لعل هذا ما يفسر اهتمام الإدارة بعددهم وتصرفاتهم وتحركاتهم، و من ذلك تقرير الحاكم الإداري إلى والي العمالة (Rap ADM. 1953) يعرض فيه مقاييس وأجور العمال الزراعيين بالنسبة لجني العنب وللحمالين وعمال القبو. إن هذه الوثائق تبين لنا دور زراعة الكروم في اقتصاد دوار برقش وانعكاساتها على الأوضاع الاجتماعية كانت تمثل النشاط الرئيسي للمستوطنين الأوروبيين في المنطقة.

ما يمكن استنتاجه من هذه التقارير والوثائق، أن معظمها يتعرض لنفس الاهتمامات و المشاكل خاصة مسألة المحتشدات وتجميع السكان وحراستهم عن قرب كما نجد اهتمام بنشاط الإدارة الاستعمارية، ويغلب الطابع البيروقراطي، فلا نكاد نجد محضراً لاجتماع مجلس جماعة الدواوير القريبة من سيدي بلعباس يخلو من جملة "نشكر الادارة" ! كما

أظهرت الكتابات التاريخية الحديثة محتشدات جديدة كانت سرية من قبل ومنها محتشد تيفوشي في الطريق بشار تندوف. (WIEVORKA, A.1997 : 54)

ثالثاً : موقف الثورة من المحتشدات الإستعمارية.

- 1 - اعتمدت جبهة وجيش التحرير الوطني على كشف السياسة الاستعمارية بتوعية الجماهير إيديولوجيا وسياسيا ميدانيا من خلال التآطير الواسع واليومي للجماهير .
- 2 - اعتمدت جبهة وجيش التحرير الوطني أيضاً في تصديها لسياسة الحرب النفسية الممارسة من قبل مكاتب لاصاص (الفرق الإدارية المتخصصة) على التصدي للخونة (الحركة) . وإبراز دور الهياكل الإدارية والصحية والقضائية والإعلامية للثورة.
- 3- تكثيف مؤسسات الثورة السياسية والقضائية والصحية والإعلامية والتعليمية ... غيرها.
- 4- تفعيل الحركات الإضرابية حتى في السجون ومنها - إضراب الثمانية أيام يوم 28 جانفي 1957.
- 5- تكثيف العمل الدبلوماسي ضد الممارسات الإجرامية الفرنسية وجلب الدعم الدولي مع الجزائر.
- 6- توظيف موقف المثقفين الفرنسيين الرافض للحرب لتدعيم الثورة الجزائرية.

نستشهد باعتراف "سيمون دي بوفوار- زعيمة المنظمة النسوية لحقوق المرأة الفرنسية منذ بداية عام 1958 حين صرحت : « ونحن جميع الفرنسيين شركاء في جريمة قتل جماعي أتت تارة

باسم إشاعة السلام، على أكثر من مليون ضحية رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا حصدوا بالرشاشات خلال عمليات المداهمة والتفتيش أو أحرقوا أحياء في قراهم، أو ذبحوا، أو بقرت بطونهم، أو عذبوا حتى الموت ... قبائل برمتها أسلمت للجوع، البرد، للضرب، للوباء في مراكز التجميع التي ما هي في الواقع إلا معسكرات استئصال ومواخير عند الاقتضاء للنخبة من خرق الجيش حيث يحتضر أكثر من خمس مائة ألف جزائري وجزائرية، حتى أن أكثر الصف اعتدالا راحت تغدق علينا أبشع النعوت وتتهمنا بالقتل وقنص الإنسان في شوارع المدن الجزائرية».. (BARRAT, D. 2001: 60)

يبدو أن الكثير من هذه المحتشدات كان في غاية السرية وقد نكتشف عدد آخر من المحتشدات في منطقة سيدي بلعباس ولهذا نؤكد أن البحث لا يزال في بدايته . (RAOUF, S. 2008)

هكذا يتأكد أن "محتشدات منطقة سيدي بلعباس" ظلت تمثل حلقة من حلقات تاريخ الجزائر خلال الثورة الجزائرية. فاكتشفنا أن أرشيف الإدارة المحلية الاستعمارية والمذكرات أدرجت في تقاريرها أن منطقة سيدي بلعباس بالرغم من الحراسة المشددة للجيش الاستعماري إلا أن السلطة الاستعمارية عجزت كلياً عن وقف زحف الثورة الجزائرية ، مما يدل على أهمية الأرشيف الإدارة الاستعمارية و المحلي بدرجة خاصة في كتابة التاريخ الوطني.

BIBLIOGRAPHIE:

A - Archives ANOM, AIX EN PROVENCE (France).

- 1- Fond du GGA, Série H, 19H/15/20/26 - Dossiers des douars. Rapports Etats d'esprits- 1959- 1960.
- 2- Fond du Département d'ALGER -SAS, (1959).
Commissions d'enquête (Rapports de la) 1959 sur les centres de regroupements.
- 3- Fonds du ministère d'état chargé des Affaires Algériennes. Communicable en 2006.
Série 81F. 81F/1603/1604. Rapports de synthèses sur l'action sociale.

B - Archives de VINCENNES (France).

- 1- Dossier pacification. Note (1958) du général WINTER, 27 jan 1958.

C - Archives de la Wilaya d'ORAN (ALGERIE).

- 1-Archives Affaires Musulmanes 1837-1961,
Sous série – i 15. Dossier, n°4479. Affaires des communes Mixtes en Oranie.
- 2-Archives de la C. Mixte d'A-Témouchent, Dossier, n°1381.
Sous série - f1 (1954).– n°1573.s3, statistiques communale 1954.
- 3-Archives de la C.mixte de A-Témouchent, Dossier, n°1381.f3
Sous série – f3 (1953).– n°1573.s3, s4,
Rap ADM.13 Nov 1953 au 26 Sep 1959. Rap ADM. Élevage et sip.

D - Archives IMPRIMES (ADM Coloniale en Algérie).

- 1-Annuaire Statistique de l'Algérie,A.S.A. , (1954).Direction générale des Finances, Services statistiques générale. Année ; 1954.

2- Documents Algériens(1953,1954). Série Politique et Institution .Service d'information du Cabinet du G.G.A, Imprimerie: société nationale des entreprises de presse, 6 avenue Pasteur, Alger.

1- Politique des bureaux arabes, N° 29. 10 Aout 1954.

2- L'Organisation politique et administrative, N° 27. 05 Nov 1953.

3- Journal Officiel de la RF (J.O.R.F). Décret 24 déc. 1875

E OUVRAGES.

1-BARRAT (Denise) et Robert (E)). (2001). , Alger, Textes et documents réunis (par), Algérie, 1956, livre blanc sur la répression,La Tour d'Aigues, Edition de l'aube.

2-CORNATON, Michel. (1967).Les Regroupements de la décolonisation en Algérie, préface G. Million. Paris : Ed. Ouvrières.

3-JAUFFRET (Jean-Charles). (2005). Paris.Tinfouchi, bain secret de la France coloniale.« dossier secret », In revue web : Guerre d'Algérie magazine, <http://www.ldh-toulon.net>,consulté le 04 sep 2011 à 21h12mn.

4-VALLAUT (Pierre). (2006). La Guerre d'Algérie de la conquête à l'indépendance, paris : éd le grand livre du mois.

F - PERIODIQUES.

1-El-Moudjahid, Journal (1960). « Regroupement de la Population ». Tome3.N° 63,25 avril 1960.

2-RAOUF (S), (2008).; « Révélation sur une « prison sans barreaux entre Béchar et Tindouf ». In journal Le Quotidien d'Oran, 24 janvier 2008.

3- Revue municipale de Sidi-Bel-Abbès, (1958). « Les centres de regroupements ». pp 07-12.

4-WIEVORKA (Annette), (1997)., « « l'expression camp de concentration au XXe siècle » Vingtième siècle. N° 117, Paris, IN Revue d'histoire, 1997, pp 93-105.